Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

التغيرات الدلالية في بعض مصطلحات الحضارات الإسلامية في نيجيريا

Semantic Changes of Selected Idioms of Islamic Civilization in Nigeria

Abdulbaqy Yahya Zakariyah[1], Aminullahi Ahmad Rufai[2]
[1]Department of Languages, Faculty of Arts, Al-Hikmah University, Ilorin, Nigeria
[2]Department of Languages and Linguistics, Bamidele Olumilua University of Education Science and Technology, Ikere-Ekiti, Nigeria
yahbaqy@gmail.com, aminullahi.ahmad@bouesti.edu.ng

مقدمة

لا تزال الطائفة النابهون من الباحثين اللغويين ينعقدون دراسات متعمقة في نظرية الدال والمدلول، إيمانا بأن الدال الواحد يحمل أكثر من مدلول واحد، أو كون المدلول الواحد يتجاذبه أكثر من دالّ واحد. وهذه لا شك ظاهرة من ظواهر التطور الدلالي. ذلك بأن المعاني التي يمكن أن تعقل لا تتناهى، والألفاظ متناهية، ومن المؤكد أنه يصعب وجود لفظ معيّن لكل معنى من المعاني، فاللفظ إذا تتغير دلالاته من حين وآخر طبقا للأزمنة والبيئات والمجالات، فترى اللفظ مرقي الدلالة حينا وانحطاط الدلالة حينا آخر.

ولعل فكرة صراع الحضارات التي انبثقت منذ القرون الوسطى قد لعب قيثارا قويا في التغيرات الدلالية على بعض مصطلحات الثقافة الإسلامية في جميع مراحلها، فانقلبت الألفاظ ذات مغزى جليل وشعار نبيل من شعائر الحضارة الإسلامية الراقية عن وجه تطورها العقلي والحيوي النفسي الخالد إلى صورة الرقود الذهني والضعف النفسي السيكولوجي، فباتت الكلمات المستخدمة في الحياة الثقافية الراقية مستهجنة مهجورة، ولا سيما على الصعيد الإقليمي النيجيري، ومنها: مصطلحات "الإمام" و"المسجد" و"المنبر" و"معلم" و"التعليم" و"الكتاتيب" و"اللوحة" وغيرها.

وعلى هذا يرى الباحثان ضرورة استرجاء دلالات تلك المصطلحات التي تحلّ مكانا جليلا في الحضارة الإسلامية عبر القرون في هذه البلاد، ويدرساها دراسة دلالية لغوية منتجة، سعيا وراء التغيرات الدلالية التي تعرضت لها تلكم المصطلحات عبر التاريخ في حضارة الشعب النيجيري. وقد بوّبا المقالة إلى ما يلي: التميهد، فمختارات من المصطلحات في الحضارة الإسلامية ودلالتها عبر العصور، ثم التغيرات الدلالية للمصطلحات المختارة وأسباب تلم التغيرات، وأثر الصراع الحضاري في انحطاط دلالات المصطلحات في الحضارة الإسلامية في نيجيريا. ثم النتائج، ثم الاقتراحات، ثم التوصيات، ثم الخاتمة، ثم الهامش، ثم المراجع.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

Abstract:

The focus of the linguists on the theory of semantic migration still remains constant. They discuss periodically on the relationship between indicative and the content, this is simply because the conception attached thereof by people has no limitation, while the indicative, word to describe the concept of meaning is limited in any language. This gives room to a word to migrate and develop semantically from one season to another. Sometimes word is described semantically as promoted and some other times as demoted. It is noted that the theory of conflict civilizations between human races has affected the Islamic civilization across the globe including Nigerian Muslims. This has posed a great threat on many terminologies known in the golden era of Islamic Civilization. The words that promote scholarship and intellectualism later turn to be demoted words that people are afraid to be associated with, i.e *Al.Imam, Al-Jihad, almasjid, mimbar, Katateeb, Mallam,* e.t.c. This paper is set to study the semantic development of some of these terminologies in the history of Islamic civilization in Nigeria; the paper is discussed in the following parts: Introduction, Semantic study of selected Islamic terminologies, Study of semantic development in the selected words, Influence of the theory of conflict civilization on the semantic demotion of the words, and Conclusion.

Keywords: Semantic, Terminologies, Islamic, Civilization, Selected, Conflict.

Article History:

Received: 22/2/2024 Accepted: 30/3/2024 Published: 31/7/2024

التميهد

يقصد بالتغير الدلالي في هذا المقالة تلك الظواهر التاريخية والثقافية والاجتماعية والطبيعية التي تثير تغير الدلالات في الكلمات، وكان عمر هذه القضية طويلا منذ عهد الوحي، إذ سارت العرب على نهجها التقليدي والفطري في تداول مفرداتها طبقا للصور الذهنية التي اعتادت عليها في تلك المفردات، فكانت لم تشهد تطورا عقليا وثقافيا مثل ما شهدتها في أول ظهور الإسلام، ومنذئذ أنشأت للثقافة الإسلامية اصطلاحات تخصها في ميادين مختلفة، في العبادات، والمعاملات، والحضارات، وغيرها، ومن أبرز ما قيل في ذلك ما قاله ابن فارس؛ حيث يقول:

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

كانت العرب في الجاهلية على إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله – جل ثناؤه– بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت... فكان مما جاء في الإسلام ذكر: المؤمن، والمسلم، والكافر، والمنافق. وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان هو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمّي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم، وإنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء....(1)

وفي هذا يرى الباحث أبولاجي "أن الدلالة عرضة لتغير أوسع وأسرع من التغير الذي يصيب بقية عناصر اللغة (الصوتية والصرفية والنحوية)؛ لأن ظاهرة التطور الدلالي تصنّف ضمن ما سمّاه بلاسي ب(**جبرية الظواهر اللغوية**)،(2)

وأن تعريف الألفاظ من حيث مداليلها يشكّل إشكالية كبيرة للمعجميين، لما يطرأ عليها من ظواهر التغير الدلالي، والتوسع الدلالي، والتخصص الدلالي، واكتساب المعاني الهامشية، والتضامّ، والاستعمالات المجازية، والترادف، والاشتراك اللفظي وغيرها.(3)

وخلال ما سبق يجد القارئ أن اللفظ في إطار دلالاته يمرّ مع مراحل تختصر فيما يحدث ثنايا التغير، أو التوسع، أو التخصص، وغيرها، واللفظ حينئذ يتحول من دلالة إلى أخرى حسب ما يطرأ عليه من التأثر الديني، أو الثقافي، أو الاجتماعي، وكانت ظاهرة كثرة الاستعمال مما يسبب تلك التغيرات في دلالة أي لفظ من الألفاظ حسب اللغات.

ويراد بمصطلحات الحضارة الإسلامية من ناحية أخرى تلك الكلمات العربية التي فشى استعمالها مع انتشار الإسلام بين ربوع أفريقيا عامة وبين مسلمي نيجيريا بصفة خاصة، والمسلم له أن القارة الإفريقية في القرون الوسطى قد شهدت نور الحضارة الخالدة من الثقافة الإسلامية الخالدة، وما يقوله بعض المؤرخين المتعصبين للحضارة الغربية أن القارة الإفريقية، خصوصا في غربها لم تهدي سبيلا إلى حضارة أم أنها في الظلمات قبل مجيئ المستعمرين والمبشرين المسيحيين زعم باطل، فالاكتشافات الحديثة من المخطوطات الأفريقية القديمة في التراث العلمي والحضاري في تمبكتو، وأغدس، وصكتو دليل قوي على أن غرب أفريقيا كان في نور الحضارة الإسلامية قبل مجيء المستعمرين المغتصبين. وانقلب بعض المصطلحات منحرفة عن أصلها العربي لما قبلت الطباع واستقرّ عليها الحال.

ومن تلك المصطلحات ما لها علاقة بالدين كالإمام والمسجد، والمنبر وغيرها، ومنها ما علاقتها مع الثقافة كالكتاتيب، والمعلّم، المحرّف إلى مالم، وألرم المنحرف من الإمام، واللوح، وغيرها، ومنها ما علاقتها بالتجارة والحسبان، كعشرين،

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وخمسين، وغيرها، ومنها ما علاقتها بالاجتماعية، في الزواج، والعقيقة، واللباس وغيرها. ومعظم هذه المصطحات قد شهدت التغيرات المختلفة من النواحي الصوتية، والصرفية، والنحوية.

مختارات من مصطلحات الحضارة الإسلامية ودلالتها عبر العصور

- **الإمام**: من (أ م م) تقول العرب أمَّ رأسَه، إذا شجّه على أمّ رأسه، فهو أميمٌ ومأموم، وأممتُ الرجلَ شججتَه؛ وأمّمْتُه، قصدتَه. والأمة : الوليدة . والإمّة : النَّعمة. يقال : كان بنو فلانٍ في إمّة . أي في نِعمة . والآمَةُ : العَيب في الإنسان.(4) قال النابغة.

فوَلَدْنَ أبكاراً وهُنَّ بآمَةٍ ** أعجَلْنهنَّ مَظِنَّةَ الإعذارِ

يريد أنَّهُنَّ سُبِين قبل أن يُخْتَنَّ، فجعل ذلك عيباً . وقد يطلق الأمة والمراد الإمام، ومن ذلك قوله تعالى: " إنَّ إبراهيمَ كان أُمَّةً قانتاً " أي كان إماماً.

وقد حكى أبو العلاء عن أبي علي الفارسي أن الإمام جَمْعُ أَمٍّ كصاحبٍ وصِحابٍ وقيلَ هُوَ جَمْعُ إمامٍ ليس على حدِّ عَدْلٍ ورِضًى لأنهم قد قالوا إمَامانِ وإنما هو جَمْعٌ مُكسَّرٌ. وقد استعملَ سِيْبَوَيهِ هذا القياسَ كثيرًا.(5)

وفي المفهوم الدلالي فقد ذكر له المحققون تعريفات عدة؛ فمن ذلك تعريف الإمام الجرجاني الذي يقول: "الإمام الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعا"(6)

ويرى بعضهم أن الإمام من يؤتم ويقتدى به سواء كان إنسانا، يقتدى بقوله أو بفعله أو كتابا أو كلاهما محقا أو مبطلا. وقال المناوي: قالوا الإمام الخليفة والعالم المقتدى به ومن يؤتم به في الصلاة والإمام المبين اللوح المحفوظ.(7)

ولعل ما ورد في المعجم الموسيط أشمل لدلالة الكلمة عبر العصور، على أن الإمام من يأتم به الناس من رئيس أو غيره ومنه إمام الصلاة والخليفة وقائد الجند والقرآن للمسلمين وفي التنزيل العزيز: "وكل شيء أحصيناه في إمام مبين" والدليل للمسافرين والحادي للإبل والقدر الذي يتعلمه التلميذ كل يوم في المدرسة يقال حفظ الصبي إمامه.(8)

الجهاد

والجهاد: مصدر جاهد يجاهد، يقال جاهدت العدو إذا قابلته في تحمل الجهد، أو بذل كل منكما جهده أي: طاقته في دفع صاحبه ثم غلب في الإسلام على قتال الكفار كذا في المغرب.(9) والجهد بالضم والفتح جُهد وجَهد الطاقة، وبالفتح فقط جَهد المشقّة، وبفتح الهاء جَهَد من أسماء الجماع.(10)

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وفي مفهومه الدلالي فقد أتى فيه تعريفات كثيرة، ومنها: "الدعاء إلى الدين الحق والمحاربة عن أدائه عند إنكارهم عنه وعن قبول الذمة.(11) ويعرفه الإمام الجرجاني بأنه هو الدعاء إلى الدين الحق.

وأما الزبيدي فيرى أن الجهاد هو مُحَاربةُ الأَعداءِ، وأنه هو المبالغةُ واستفراغُ ما في الوُسْعِ والطاقَةِ من قَوْلٍ أَو فِعْلٍ. أن حَقيقة الجهاد كما قال الرّاغب: استفراغُ الوُسْع والجُهْد فيما لا يُرْتَضَى وهو ثلاثةُ أَضْرُبٍ: مُجاهدةُ العَدُوِّ الظاهِرِ، والشيطانِ، والنَفْسِ. وتدخل الثلاثةُ في قوله تعالى:{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } (الحج : 78).(12)

مالم

كلمة "مالم" محرفة من أصلها "معلّم" لما كثر استعمالها، وهي اسم فاعل من أعلم نفسه وفرسه، أي جعل له أو لها علامة في الحرب والثوب جعل له علما من طراز وغيره.(13) ويأتي في معنى الأذان، ومن ذلك قول الله تعالى: (ثمَّ أذّنَ مؤذِّنٌ أَيَّتُها العيرُ إنَّكم لسارقون) معناه أعلم معلم(14)

ويعرّف الأخفش الأوسط المعلم بأنه هو الذي يفعل فعالا، يكون له علما،(15) ويعرفه بعضهم بأنه من يتخذ مهنة التعليم ومن له الحق في ممارسة إحدى المهن استقلالا وكان هذا اللقب أرفع الدرجات في نظام الصناع كالنجارين والحدادين، والمعلم هو العلامة والملهم الصواب والخير العلامة ومن كل شيء مظنته.(16)

ألفا:

ورد في أصل كلمة ألفا (ألفع) الشائع استعمالها بين مسلمي غرب أفريقيا، أقوال عديدة وصفا لرجال العلم والأدب منذ عهدها القديم، ومن قيل إنها اختصار للكلمة العربية "الفاهم" يعرف بها عامة السودان وسلاطينها رجال العلم والأدب،(17) وقيل هي مأخوذ من كلمة (ألف) دلالة على أن اللغويين يطلقون ألفا على رجل ويريدون به واحد لجلالة مكانته بين قومه، وخاصة العالم، ومن ذلك ما ورد في قول الراجز حيث يقول: (18)

فإن فقيها واحدا متورعا ** أشدّ على الشيطان من ألف عابد

وقول الآخر:

الناس ألف منهم كواحد ** وواحد كألف إن أمر عنى

وقيل إنها من كلمة إغريقية (al-pha) وتعني الحرف الأول والحركة الأولى في اللغة الإغريقية، وفي الإنجليزية تعني أول شيء ومبدئه، ومن ذلك قولهم (alpha and omega) أي الأول والآخر، وقيل البداية والنهاية. وقيل هي من الحروف العبرية، ومما ورد في معانيه في الموسوعة العالمية أنها تعني أسطع النجم في الكوكب(19)

وأيا كان الأمر في أصل كلمة "ألفا" فإن الواقع يشير إلى أن الدلالات في تلك الخلافات في أصل الكلمة ترمي إلى جذور واحد وهو الشرف والعلو، فلا يكون شيا أولا إلا لعلو مكانه وشرفه، ولن يكون النجم أسطع مما دونه إلا

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

لمكانته بين الكواكب، وكما لا يكون الرجل فاهما أو فقيها إلا ارتفعت مكانته في المجتمع، وعلى هذا الأساس المعنوي القوي أدرك لفظ "ألفا" دلالته في وصف أولي الأمر والنهي من العلماء في غرب إفريقيا منذ عصر قبل الفوديين، وهي بلا أدنى شك من المفردات التي انتشرت مع الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، عامة وفي نيجيريا خاصة.

التغيرات الدلالية للمصطلحات المختارة وأسبابها في نيجيريا

يعدّ لفظ الإمام من المصطلحات العربية التي تعلّقت بألسنة الناس في أفريقيا نظرا لمكانته في الحضارة الإسلامية، وكانوا يطلقونه ويريدون به إحدى الدلالات المألوفة لها في العالم العربي الإسلامي، ولا سيما في أيام الإسلام الأولى بأفريقيا، ومن ثم كان لفظ الإمام ذا مغزى جليل لدى الناس في بلاد السودان القديمة ولا يطلقونه إلا على من له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعا، ولعل الإمامين الجليلين المغيلي والسيوطي هما الذان عمرا منطقة السودان بالعلم، والسيادة، والسياسة دليل قوي على ما تمسّك به القوم من دلالة لفظ الإمام، وعلى هذه استمرت الكلمة في أوساط الناس إلى أواخر القرن الثامن عشر لما تفرّد السلاطين بسياسة أمور الناس، وجعلوا وظيفة الإمامة تثقيف القوم وتوعيتهم، فتغيرت دلالة الكلمة وانتقصت مما عليها قبلئذ، فنزلت رتبة الإمام في الدولة إلى الرتبة الثالثة بعد السلطان والوزير. وقد أتى في انتاج بعض أدبائهم استعمال الكلمة في هذا السياق، ومن ذلك قول الإلوري في رثاء شيخه: (20)

أيا شيخي وأستاذي نماجي ** بيّاك الله في دار السلام
لقد أخرجتني من كل جهل ** جزاك الله خيرا يا إمامي

يريد بإمامي في البيت، مربيه في الثقافة الإسلامية.

وفي منتصف القرن العشرين، تغيّر وجه حضارة القوم من كونها حضارة إسلامية محضة إلى الغربية، فتضيّقت بذلك دلالة كلمة الإمام فأصبحت تطلق على من له رياسة في الدين فقط، وإلى هذه الدلالة الحديثة أشار صاحب المعجم الوسيط أحد المعاجم العربية الحديثة عند تحديده لمفهوم كلمة الإمام حيث قال: "ومنه إمام الصلاة" وهكذا فسّرت في القواميس الإنجليزية قال خَانْس وَيْر (Hans Wehr) في شرحه لكلمة الإمام في قاموسه(imam; prayer leader)،(21) وفي الموسوعة العالمية الإنجليزية الحديثة شرحت الكلمة بأنها: (A priest, who recites prayers and leads devotions) (22)

وعلى هذا الأساس فقد ظهر أن كلمة الإمام قد أصابها ما يطلق عليه بتضييق الدلالة عند أصحاب اللغة، فاللفة إذا إذا انحسر استخدام بعض دلالاته نتيجة التغيرات والتطورات التي أصابت الحياة مما انعكس أثره على طبقات المجتمع ونظام الحياة فيه، مثل الإمام يشار إليه بذات تضييق الدلالة، في مجتمع نيجيريا، يقول أزد. فتح الله:

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

"تضييق الدلالة يبتدئ ذلك في بعض الألفاظ التي تعد من الأضداد، كما في كلمة (مولى) التي تعني المنعِم والمنعَم عليه، والمعتِق والمعتَق، والعبد والرب، مما أدى إلى انحسار استخدام اللفظ ببعض هذه الدلالات، نحو: المولى بمعنى المعتِق والمعتَق والعبد، ويرجع ذلك إلى التغيرات والتطورات التي أصابت الحياة"(23)

وأما مصطلح **الجهاد** فقد اشتهرت دلالته بين النيجيريين، وخاصة في عهد الفوديين الجهاديين، لما قاموا به ضدّ الكفار الوثنيين حائئذ، وليست هناك كلمة مقابل لهذه الكلمة في الشهرة في عهدهم؛ حتى أصبحت تنسب إليهم بالجهاديين، وما خرجوا عن نطاق دلالة كلمة الجهاد المعروفة بها في العالم الإسلامي من دعاء غير المسلمين إلى الدين الحق، وما حملوا على أحد سلاحهم إلا بعد بغي هؤلاء عليهم، فكانت محاربتهم للغوبريين دفاعا عن دينهم ونفسهم.

وفي منتصف القرن العشرين اضطرب الأمر على الناس بين الشيئين؛ أحدهما يتصف بالطيب والشرف، والآخر الخبث، أما الأول فهو استفراغ الوُسْعِ والطاقَةِ والجُهْد في الدعوة إلى دين الله؛ ومحاربة أعداء الدين إن دعت الحاجة، والذي يطلق عليه مصطلح الجهاد، والآخر الحرب القبلية أو الاختلافات السياسية التي تنبثق بين الفئتين التي مصدرها فكرة صراع الحضارات التي أنشأها وِلْيَم حَنْتِنْتُوم، والتي تؤدي إلى قتل الأبرياء من الرجال، والنساء، والولدان، وهذه الفعلة يطلق عليها بالإرهاب.

وإلى هذا المفهوم الشنيع نقلت دلالة مصطلح الجهاد، وقد أوردوها في الموسوعة الإنجليزية الحديثة مفهوم الجهاد كما يلي: (Jihad: A religious war of moslems against the enemies of their faith) وقيل أيضا: (Any war for a faith) فإطلاق كلمة (war) التي تعني الحرب مطلقا تغيّر به مفهوم الجهاد الحقيقي، من استفراغ الوسع والطاقة والحرب المقدس ضد الكفار إلى مجرّد قتل الأبرياء، وهذا الذي يحضر ذهن كثير من الناس عندما يسمعون بلفظ الجهاد اليوم، ولذلك أطنب صاحب المعجم الوسيط في تحديد مفهوم الجهاد ردّا على هذه الدلالة المنكرة التي حملت على كلمة الجهاد ليدل على أن معناه في الكلام العربي أوسع من حصره في مفهوم الإرهاب مطلقا فيقول: (24)

(جهد) جهدا جد ويقال جهد في الأمر وفي التنزيل العزيز) وأقسموا بالله جهد أيمانهم (وطلب حتى وصل إلى الغاية وبلغ المشقة وبفلان امتحنه وفلانا بلغ مشقته وألح عليه في السؤال والدابة حمل عليها في السير فوق طاقتها والمرض أو التعب أو الحب فلانا هزله واللبن مزجه بالماء وأخرج زبده كله والطعام اشتهاه وأكثر من أكله والماشية المرعى أكثرت الأكل منه فهو جاهد والمفعول مجهود وجهيد والمال فرقه جميعا ههنا وههنا.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

و(جهد) الناس أجدبوا فهم مجهودون

و(جهد) العيش جهدا ضاق واشتد فهو جهد

و(أجهد) وقع في الجهد والمشقة وكان ذا دابة ضعيفة من التعب والأرض برزت وله الطريق والحق ظهر ووضح والشيء اختلط والشيب فيه أسرع والعدو عليه جد في العداوة وفلان في الأمر احتاط وله الشيء والأمر أمكنه وفلانا جهده والدابة جهدها ويقال أجهده على أن يفعل كذا أجبره وماله أفناه وفرقه والطعام اشتهاه

و(جاهد) العدو مجاهدة وجهادا قاتله

(اجتهد) بذل ما في وسعه

(تجاهد) اجتهد

(الاجتهاد) (في الاصطلاح الفقهي) استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي (الجهاد) الأرض المستوية أنبتت أو لم تنبت والصحراء والأرض الصلبة ويقال أرض جهاد وفي الحديث أنه (صلى الله عليه وسلم) نزل بأرض جهاد وثمر الأراك (ج) (جهد)

(الجهاد) (شرعا) قتال من ليس لهم ذمة من الكفار

(الجهادى) تقول جهاداك أن تفعل كذا قصاراك وغاية أمرك

(الجهد) المشقة والنهاية والغاية والوسع والطاقة ويقال جهد جاهد (للمبالغة) وجهد البلاء كثرة العيال والفقر و(في الفلسفة) كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسميا أو عقليا ويهدف غالبا إلى غاية (مج)

(الجهد) الوسع والطاقة وفي التنزيل العزيز) والذين لا يجدون إلا جهدهم (والشيء القليل يعيش به المقل وجهد المقل قدر ما يحتمله حال القليل المال وفي حديث الصدقة (أي الصدقة أفضل قال جهد المقل)

(الجهدان) من أصابه الجهد

(الجهيدى) الجهد تقول لأبلغن جهيداي في هذا الأمر

(المجتهد) هو الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعي وله شروط مقررة في علم أصول الفقه

(المجهود) الوسع والطاقة

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

ولو دُقق النظر في هذا الشرح المطل الذي ورد من المعجم الوسيط لكلمة الجهاد فإنك لا تجد أنها تدل على القتال إلا في موضع واحد وهو قوله: (الجهاد) شرعا قتال من ليس لهم ذمة من الكفار، وقد قيّد هذا المعنى بقوله شرعا، وهذا يتطلب معرفة تلك الشروط التي قيدها العلماء لأهل الذمة.

وإذا قورن بين المعاجم العربية القديمة والحديثة في تحديد دلالة الجهاد فإنك تجد فرقا منطقيا بينهما، وذلك أن القدامى يركزون أيما التركيز في حصر دلالتها على محاربة أعداء الدين، دلالة على أن هؤلاء لن يتوقعوا أبدا أن الجيل القادم قد يسوء الفهم في دلالة الكلمة فيحولها إلى الإرهاب، وأما المحدثون فقد تنبهوا إلى تلك العلة فاكتفوا عن التركيز على المحاربة كما صدر في المعاجم السابقة، وقد كفى ما ورد في المعجم الوسيط حجة على هذا.

وفي جانب لفظ الجهاد فقد أصابه في أوساط نيجيريا ما يسمى بفقدان الدلالة من وجه وتضييق الدلالة من وجه آخر في الدراسات اللغوية، إلا أن فقدانه للدلالته في هذا الصدد لم يكن سببه ما وضعه اللغويون أصلا لفقدان اللفظ دلالته، وذلك ما يلاحظونه في العبارات الجاهزة التي ترتبط بالتعامل اليومي والإنساني، أو المتصلة بالعلاقات الإجتماعية كقولهم صباح الخير مساء الخير وهلم جرا، إذ يلاحظ أن هذه العبارات قد فقدت دلالاتها، وصارت لا تعني شيئا مما لها في الأصل من دلالة، وإنما هدفها في المقام الأول إشعار الغير بالود.(25)

وإنما فقد لفظ الجهاد دلالته في نيجيريا لعلة التعمية والغموض التي حصل له بين الخواص والعوام، يقول أ.د. فتح الله: "وكما تفقد الألفاظ دلالاتها في بعض الأحايين، فإنها كذلك قد تصير وسيلة للتعمية والغموض، كما أنها قد تعجز عن الإبانة والإفصاح"(26).

وأما **مالم** فهي من تلكم آلاف المصطلحات التي أتت بها الحضارة الإسلامية إلى غرب أفريقيا، وقد شاع تداولها على ألسنة الناس، وصفا –في البداية– لمن يتصدر على وظيفة التعليم مراعاة لمعناها الأصلي في العربية الفصحى، وقد أصاب هذا التغير الصوتي من أصلها (معلّم) حيث نشأت منها كلمة أخرى مغايرة في النطق للأولى والمعنى فيها واحد، وهذا سبب من أسباب ورود الترادف في الكلام العربي.

ويأتي التغير على اللفظ من أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون صوتيا أو صرفيا أو نحويا؛ وثمة التغير الذي حصل على لفظ (معلم) في أوساط نيجيريا فإنه نتيجة عدم ورود الحركات القصيرة (Short Vowels) بالوفرة في لغتهم المحلية، وخاصة قبيلة يوربا، أدى ذلك إلى إهمال الوقف الذي يحصل بين الحنجرة في إخراج العين من النطق بكلمة (معلم) فخذفوا في ذلك العين وأبدلوها ألفا بعد الميم فصارت الكلمة (مالم).

وفي منتصف القرن التاسع الميلادي تغيّر مدلول الكلمة في أوساط نيجيريا من كونها عالم بالثقافة الإسلامية ومربي الجيل إلى دلالة أوسع وهو معلّم الخير، والشاهد على ذلك تسمية "مالم أمين كنو" به إلى آخره حياته ولم يرض

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

بإسقاطه من إسمه بتا، وهو من كبار السياسيين الذين أبقت الدهر ذكرهم لما تركوا من آثار جليلة في قلوب الكنويين خاصة والنيجيريين عامة.

ومنذئذ أصبحت صفة "مالم" تطلق على من اتصف بالخير والصلاح في أوساط نيجيريا، حتى أصبحت الآن مثالا يتبادله الناس بينهم؛ وعلى سبيل المثال؛ إذا عمل رجل بشيء يقبح ذكره وكان مما يرى فيه الصلاح قيل في اللغة الهوسوية: (Haba malam) فكلمة (haba) في المثال في لغة الهوسا يستخدم لإنكار القبيح. ومعنى المثل: (لا يتوقع هذا من الصالح مثلك) والمأخوذ من هذا المثل أن لفظ "مالم" قد استزادت دلالته بمعنى (الرجل الصالح).

وأما في جنوب نيجيريا فقد أصابت الكلمة ما يسمى بهبوط الدلالة وانحطاطها، حيث يستعمل للعتاب؛ فمثلا لو نادى رجل يوربوي (mallam) أو قال في خطابه (on se bi mallam) بمعنى تفعل كـ (مالم) يعني بذلك أنت مغفل وحمق.

ومن هنا يتضح جليا أن اللفظ قد يكون مرقي الدلالة وفي نفس الوقت منحط الدلالة في زمن وبيئة متلازمين لكن ليس في نفس المكان، كما حدث للفظ (مالم) بين شمال نيجيريا وجنوبها، فهو في الشمال متطور الدلالة، وفي الجنوب مهبوط الدلالة.

وفي هذه الآونة الأخيرة بدأت كلمة (مالم) تتغير صوتيا، حيث لحظ الدارسون أن الميم في آخر الكلمة تحذف الآن في النطق، فينطق (مَالَ)، وهذا كثير في المناطق غير هوسوية، كيوربا، وإبرا، ونوفى، وغيرهم من الشعوب النيجيرية.

وأما لفظ (ألفا) في نيجيريا فقد أصابه نوع من التغير الصوتي، وذلك في الجنوب، حيث ينطقونه (أَلْفَا) بضم اللام وليس الإسكان، وهذا يرجع إلى ما ذكره الدارسون الصوتيون في نظام الواحدات الصوتية اليوربية وهو أن الساكن (consonant) لا ينهي الوحدة الصوتية (syllable) وفي ذلك لا بدّ من إدخال الحركة في مكان الساكن لفتح الوحدة الصوتية، وكذلك أن يوربا لا يسمحون لتوالي الساكنات فإذا توالى الساكنان أو أكثر في كلمة واحدة فإنه تدخل الحركة المناسبة بين الساكنين، وهذا ما حدث في كلمة (ألفا) عند اليوربيين فقد التقى الساكنين في اللام والفاء، لذلك حركوا اللام بالضمة للمجانسة، وحينا آخر يحذفون الساكن تماما، وذلك ما حصل في نطق كلمة رحمة كرَامَ ورأفة كرافة، وقس على هذا كثيرا في لسانهم.

وقد امتدّ هذا التغير الصوتي في (ألفا) إلى حذف اللام الواقعة بين الألف والفاء على الاطلاق، فأصبح ينطق (أفا)، وثمة تغير آخر دلالي في هذه الكلمة ما لوحظ من كلمة مركبة تركيبا مزجيا في لغة يوربا، وهي (Alu-fa) فكلمة (Alu) بمعنى الضارب، وكلمة (fa) مقصورة من كلمة (ifa) وتعني الكهانة، والمعنى (ضارب الكهانة) فرُكبت

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الكلمتان تركيبا كزجيا فصارت (Alufa) إلا أن مراعاة التنغيم يفرق بين الكلمتين عند فإذا أرادوا به عالما فقيها ربانيا أدرجوا الصوت، وإذا أرادوا به ضارب الكهانة أمالوا الصوت.

أثر الصراع الحضاري في انحطاط دلالات مصطلحات الحضارة الإسلامية في نيجيريا

ففي هذا المبحث من المقالة فإنك ستلقى مدى تأثر فكرة صراع الحضارات في التغيرات التي طرأت على تلك المصطلحات الذهبية التي حكمت وسادت الحضارة الإسلامية وثقافتها في أيام نيجيريا الغابرة.

فلو دقق النظر في الأسباب التي ساندت في تغيّر تلك المصطلحات تجدها مرتبطة بالسياسة، والصراع الحضاري، فلو تأملت مثلا مصطلحات الإمام والأمير والخليفة التي تستعمل في أيام الإسلام الأولى لأولي الأمر والنهي من الحكماء، فإن أول من دعى إلى تبديلها إلى السلطان هم الصليبيون لما دمروا الخلافة الإسلامية في الأندلس، وبما أن كلمة السلطان من التتار الذين سيطورا على الدولة العباسية في بغداد، وهكذا استمرّ الأمر حتى تمكنوا من سلب الحرمات التي تلبسها تلك المصطلحات في قلوب الجيل المسلم.

ومن يطلع على معظم القواميس الغربية التي تناول شرح مصطلحات الحضارة الإسلامية يجد في شرحهم نوعا من الخيانة، والتقصير في حق دلالات تلك الكلمات، ففي معظم الحالة يحصرون معاني تلك المصطلحات فيما يريدون أن يتصور الجيل لتلك الكلمة، ولا يسوقون حقيقة تلك الكلمات، فمثلا يشرحون كلمة الإمام بقولهم: A priest, (who recites prayers and leads devotions هذا هو المعنى الذي يريدون أن يبقى في قلوب الجيل سواء مسلمين أو غير المسلمين لكلمة الإمام، حتى لا يكون له رأيا في سياسة أمور الناس، ولا في تدبير الحكومة، وما أشبه ذلك، مما هو الأساس في مسئولية من يتولى ذلك المنصب، والأنبياء جميعهم أئمة، قال تعالى: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون"(الأنبياء) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي صلى الله "كان بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي بعده، وإنما لا نبي بعدي" يقول الإمام النسفي الإمامة نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين والدنيا.

وكم أفسد مراكز الإعلانات الحديثة من دلالة كلمة الجهاد، حيث يحملون ويجبرون معنى كلمة الإرهاب على كلمة الجهاد الشريفة، فلا يكاد هذا الجيل الحاضر يميزون بين الجهاد والغزو والإرهاب. ألم تر إلى مدى تأثر هذا صراع الحضارات في حقيقة دلالة الجهاد في المعجم الوسيط فرارا من إثارة فتنة سوء الفهم للفظ الجهاد لدى عامة الأميين. وإذا بحثت في القواميس الإنجليزية القديمة تجد أن كلمة الجهاد تشرح بـ(Crescentade) وليس (War) الذي انتشر فهمه لدى عوام الناس اليوم، اسمع قولهم في المسوعة العالمية في شرح كلمة الجهاد:

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

jihad: A religious war of moslems against the enemies of their faith

وهل هذا هو دلالة هذه الكلمة الشريفة في أصلها، ولما لم يراجع مؤلفوا تلك القواميس الإنجليزية أصل تلك المصطلحات في المعاجم العربية حتى يؤتوها المعاني التي أقرب إلى الفهم الدقيق لها، لكن لأمر يخفونها من صراع الحضارات، ليضعّفوا من درجات تلك الكلمات، ويقصّروا شرفها في أوساط الشعوب الإسلامية، حتى يروا دينهم كدين القتل، ويصغّرون أئمتهم.

ولماذا لم يشرحوا كلمة الجهاد بـ(struggle) الذي هو أقرب المعنى إلى أصلها العربي، وأخذوا (war) الذي لا يسمعه البشر إلا خيف، وازدجر مما يقع فيه، كل هذا ليجعل الإسلام دين الحرب، والإرهاب، والدمار، والقتل. وغيره مما يشوه به أعداء الإسلام وجهه اليوم، نتيجة فكرة صراع الحضارات التي دعى إليها وليم حنتوم.

وهذه التغيرات الدلالية التي نلحظها في هذه المصطلحات الدينية هي التي أدت إلى إجعال المسلمين الأمور الدينية في هوامش أمورهم، وهذا هو منبأ الفتنة ومنشأها، لأن الله وعد هذه الأمة بالذل والإهانة والخوف إذا جعلوا مهمتهم في هوامش أمرهم، فإذا كان منصب الإمام لا يعني شيئا في حياة الرجل المسلم سوى ذلك المعنى الذي قرأه من القاموس الإنجليزي بمعنى الذي يصلي بالناس ويقرأ عليهم في صلاتهم فمن أين يدرك العلم والفهم الدقيق الذي يرشده إلى حقيقة وجوده في هذا الكون.

فقد أدت هذه التغيرات في دلالات المصطلحات الدينية إلى الافتراق الواسع بين رؤساء الدين حملة الهداية والنور الذي يبصر به وبين الجيل الحاضر، فانتشر الفهم السيئ الخاطئ الخاطر بين العوام والخواص في الأمور الدينية والدنيوية.

نتائج واقتراحات

وقف الباحث على نتائج مهمة في ختام هذه المقالة تجدر الإشارة إليها، ومنها ما يلي:

1. أن المنتمين إلى هذه اللغة شرفا وفضلا تركوا زمام أمرها بيد العابثين في تغيير مصطلحات ثقافتهم وحضارتهم.
2. أن التغيرات الدلالية في مصطلحات الحضارة الإسلامية أدت إلى إساءة الفهم في كثير من القيم الإنسانية التي تتيمتع بها الحضارة الإسلامية، وهذا الذي فتح أبواب الفتنة على مصراعيها على بعض شباب نيجيريا.
3. أن صراع الحضارات لعب دورا ميثاليا في التغيرات العقلية والسيكولوجية التي حصلت على تلك المصطلحات.
4. أن التغيرات الصوتية التي تحصل على المصطلحات الدينية في نيجيريا، إنها نتيجة الطبيعة الإنسانية.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

5. يرى الباحث ضرورة مراجعة شرح كلمات الحضارة الإسلامية في القوايس الغربية، لأن كثيرا من المسلمين اليوم يعتمدون على هذه القواميس، ويأخذون حقائق دينهم مما فهموا من تلك القواميس.

الخاتمة

لقد درست المقالة وتتبعت التغيرات التي حصلت لمصطلحات الحضارة الإسلامية في نيجيريا عبر التاريخ، إيمانا بأن تلك التغيرات هي التي سببت التخالف الفكري والحضاري بين مسلمي نيجيريا، وشبت نار العداوة والبغضاء، فانبثقت فتنة التكفير، والتفجير، والتقتيل، وفهم الناس فهما سيئا لركن هام من أركان هذا الدين الشريف؛ الجهاد، وهذه التغيرات ظهرت من ناحيتين الناحية الفكرية العقلية التي أساسها صراع الحضارات، والأخرى الصوتية التي كان أساسها الطبيعة الإنسانية، وقد تم دراسة الباحث هذه المقالة من ثلاثة مباحث: مبحث تناول حيوية مصطلحات الحضارة الإسلامية في الأيام الغابرة، ثم في المبحث الثاني ذكر التطورات التي طرأت عليها في نيجيريا عبر التاريخ، ثم أشار في المبحث الثالث إلى مصدر التغيرات الدلالية في تلك المصطلحات المختارة الذي هو فكرة صراع الحضارات.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol8no1.4
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

المراجع

ابن فارس، أحمد أبو الحسين: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تح: د. مصطفى الشويمي، بيروت، 1964م، ص:79-

علي عبد الرزاق أبولاجي، **ظاهرة التعدد الدلالي في المعاجم العربية الحديثة؛ عرض ونقد**، مجلة الأصالة،

القاسمي، علي: **إشكالية الدلالة في المعجمية العربية**، مجلة اللسان العربي، ع/46، 1998م، ص:60.

ابن دريد محمد بن الحسن، **الاشتقاق**، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج/1 ص:236 ط:3.

المرسي علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، 2000م، ج:10 ص:573

الجرجاني، عبد القاهر، **التعريفات**، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط:1 1405هـ، ص: 53

المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط:1 1410هـ، ج/1 ص:90

إبراهيم مصطفى وغيره، **المعجم الوسيط**، تح:مجمع اللغة العربية، ج/1 ص: 139

القونوي، قاسم بن عبد، **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، تح: يحي مراد، دار الكتب العلمية، 2004م-1424هـ، ج/1 ص: 64

الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى، **الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، تح: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة-بيوت، 1419هـ/1998م، ج/1 ص:547

الأحمد، القاضي عبد رب النبي، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، تح:حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م. ج/1 ص:291

الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج/7 ص:537

إبراهيم مصطفى وغيره، **المرجع السابق، ص**: ج/2 ص:624

الأنباري محمد بن القاسم، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تح: د.حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1412هـ-1992 ج/1 ص:30

الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، **الاختيارين**، بدون التاريخ والطبع.

إبراهيم مصطفى وغيره، **المرجع السابق**، ونفس الصفحة,

أغاكا عبد الباقي شعيب، **الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري**، مكتبة النهار مصر، 1424هـ/2004م، ص:15

- The new International webster's comprehensive dictionary of the English Language, Standard International Media, 2013, pg 41

الإلوري، آدم عبد الله، **من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرّجت**، تح: محمد ثوبان، 1434هـ/2013م، أوتوبو لاغوس، ص:22

- Hans Wehr, A Dictionary of Modern Written Arabic, ed. J.M. Cowan, 1980, India, p.g. 26

- Ipid, p.g. 630

فتح الله سليمان، **دراسات في علم اللغة**، دار الآفاق العربية، مصر، 1429هـ/2008م. ص : 14

إبراهيم مصطفى وغيره، المرجع السابق، ص:

فتح الله سليمان، **المرجع السابق**، ص:15

فتح الله، المرجع نفسه، والصفحة.